

الدرس الخامس: مخارج الأصوات

المخرج : أو موضع النطق (Point d'articulation) هو مكان النطق الذي يحدث فيه التصويت، ويدعى أحيانا بنقطة النطق حيث يُحدث الاعتراض حبسا أو تضيقا لعمود الهواء المنبعث من الرئتين كما في الأصوات الصامتة التي تحدّد أساسا عن طريق المخرج ودرجات الانفتاح وصفات النطق.

و موضع النطق بصيغة المفرد - كما يشير كمال بشر - في كتابه " علم اللغة العام " لا تعني أن الصوت المعيّن صدر عن عضو واحد، فقد يشترك عضوان أو أكثر في صناعة الصوت، وقد يكون موضع النطق هو نقطة التقاء عضو بآخر " لذا فما يطلق عليه صوت لهوي، أو غاري ، أو لثوي، لا يعني أن اللهاة أو اللثة أو الغار وحدها تُعدّ مواضع النطق ، وإنما تشترك الأعضاء الأخرى في العملية الإنتاجية وفق هيئة التشكيل البنائية للصوت .

1- مخارج الأصوات عند العرب:

قدّم العرب في هذا الصدد تصنيفات علمية دقيقة، أقاموها على مبدأ الملاحظة المباشرة والتذوق الصوتي كما سماه الخليل بذوق الحروف، وهذا لتحديد أبعاد الصوت ومساره الوظيفي. فتكلم عن هذه المواضع كل من الخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه، وابن جني، ومكي بن أبي طالب القيسي، وابن الجزري،... وغيرهم، مصنفين الأصوات العربية على أساسها ، فكان لكل منهم أبجديته الصوتية، وللمحدثين نظر وأبجدية . وفيما يأتي ذكر لأبرز هذه التصنيفات المخرجية:

أ- مخارج الأصوات عند الخليل:

كان أول من بدأ ذلك الخليل بن أحمد - صاحب النظرية المركزية في علم الأصوات - فقد أعطى الأصوات العربية أسماء مشتقة من المخرج، هي كما وردت في كتابه "العين" :

1. ع ح ه خ غ: حروف حلقيه، لأن مبدأها من الحلق.
2. ق ك: حرفان لهويان ، لأن مبدأهما من اللهاة.
3. ج ش ض: حروف شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم أي منفثحه (مفرجه).
4. ص س ز: حروف أسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدقّ طرفه.
5. ط د ت : حروف نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى (وهو السقف العلوي الصلب للفم).
6. ظ ذ ث: حروف لثوية، لأن مبدأها من اللثة.

7. ر ل ن : حروف ذلقية: لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفي ذلقه.

8. ف ب م: حروف شفوية: لأن مبدأها من الشفة.

9. و ا ي ء: هوائية : لأنها هوائية لا يتعلق بها شيء.

تعليق:

- بهذا التقسيم يكون الخليل قد ميّز تمييزاً صريحاً بين الحروف الصّحاح (الأصوات الصامتة) والجُوف (الأصوات الصائتة)، وأدرك أن الفارق الأساس فيما بينها هو حرية مرور الهواء عند نطق الصوائت، واعتراضه عند النطق بالصوامت.

- جعل الخليل الهمزة (ء) مع الصوائت الطويلة وهي حروف العلة الثلاثة؛ لأنه يعترّبها النقص والحذف والتغيير، إذ لا تثبت على حال في بنية الكلمة . ثم إنها تشارك حروف العلة في قواعد كثيرة سوّغت جعلها ضمن باب الإعلال الخاص بحروف العلة، مع أنها من الحروف الصّحاح.

ب- مخارج الأصوات عند سيبويه:

جعل سيبويه لحروف العربية ستة عشر (16) مخرجا تجري متسلسلة من الحلق إلى الشفتين على هذا النحو:

1. الهمزة (ء)، الهاء ، الألف (ا): أقصى الحلق.

2. ع، ح : أوسط الحلق.

3. غ، خ : أدنى الحلق.

4. القاف (ق): مخرجه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى.

5. الكاف (ك): من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى.

6. ج، ش، ي: من وسط اللسان بينه و بين وسط الحنك الأعلى.

7. الضاد (ض): من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس.

8. اللام (ل): من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق

الضاحك والنايب والرباعية والثنية .

9. النون (ن): من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا.

10. الراء (ر): من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام.

11. ط، د، ت: مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا.

12. ز، س، ص: مما بين طرف اللسان وفوق الثنايا.

13. ظ، ذ، ث: مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا.

14. الفاء (ف): من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى.

15. ب، م، و: مما بين الشفتين.

16. النون الخفيفة : من الخياشيم.

تعليق:

- يلاحظ على هذا التوصيف المخرجي أن سيبويه قدم بيانا تفصيليا لكيفية النطق، مقتفيا أثر الخليل في اعتماد الترتيب الصوتي، بعدم خروجه عن الأصل. وإن كان خالفه في نسبة بعض الأصوات إلى مخرجها.
- كما أنه ترتيب صحيح بصفة جليّة ملحوظة، وموافق للترتيب المحدث، كما ذكر "كانتينو جان" في كتابه "دروس في علم أصوات العربية"، و"برجستراسر" في "التطور النحوي للغة العربية".

ج- الترتيب المخرجي للأصوات عند أبي علي القالي:

ه ح / ع خ غ / ق ك / ض ج ش / ل ر ن / ط د ت / ص ز س / ظ ذ ث / ف ب م / و ا ي / (ع).

ويلاحظ على ترتيبه المخرجي؛ أنه خالف الخليل في تقديم مجموعة الأصوات النطعية على الأسلية، وكذا في ترتيب أصوات بعض المجموعات، كما أنه كان أدقّ في وضعه (ل ر ن) قبل (ظ ذ ث)، وهي أصوات مخرجها من بين الأسنان متأخرة في الفم عن اللام والراء والنون.

2- مخارج الأصوات عند المحدثين:

دلت التجارب الحديثة في علم الأصوات على أن العربية الفصحى استخدمت عشرة مخارج لإصدار أصواتها الصامتة - كما أوردها تمام حسان في كتابه "مناهج البحث في اللغة"، وهو الذي يُسار إليه ويعتمد عند إرادة تلقيب الحرف أو الصوت مخرجيا :

1. المخرج الشفوي (bi-labiales): ب، م، الواو (المتحركة غير المدية، وهي أيضا من أقصى الحنك وتدخل الشفتان في تكوينها دخلا كبيرا).

2. المخرج الشفوي الأسناني (labio-dentales) الفاء (ف).

3. المخرج الأسناني (dentales): (مع حد اللسان): ث، ذ، ظ. (نسبت للأسنان تغليبا وذلك لفاعلية عضو ودوره البارز في إنتاج الصوت).

4. المخرج الأسناني اللثوي (dent-alvèolaires): ض، د، ط، ت، ز، ص، س.

5. المخرج اللثوي (alvèolaires): ل، ن، ر.

6. المخرج الغاري (palatales): ش، ج، ي. (الغار + مقدم اللسان).

7. المخرج الطبقي (vèliires): ك، غ، خ. (الطبق + مؤخر اللسان).

8. المخرج اللهوي (uvulaires): ق

9. المخرج الحلقي (pharyngales): ع، ح. (بتقريب جذر اللسان من الجدار الخلفي للحلق).

10. المخرج الحنجري (glottales): ه، الهمزة (ع). ويكون نتيجة إغلاق الوترين الصوتيين عند نطق الهمزة، وبتضييقهما فقط عند نطق الهاء.

تعليق:

- هذه إذًا مخارج الأصوات في العربية كما دلّت عليه تجارب المختبرات الصوتية الحديثة. يشترك اللسان كعامل مساعد في أكثرها حين يتخذ مواضع مختلفة مع الأعضاء الأخرى في عملية الإنتاج الصوتي.
- ليس بين ترتيب سيبويه والترتيب الحديث اختلاف مهمّ ، وما وُجد من ذلك لا ينبني عليه أيُّ خطأ في شرح الظواهر الصوتية التركيبية وتعليلها، بل إنّ بعض الاختلاف راجع إلى نطقهم لبعض الأصوات مخالفاً لنطقنا الحالي لها (كصوت الضاد).
- يبدو تفوّق هذا الدرس الصوتي وسبقه كلّ درس قدّم للأصوات ، وقربه قريباً شديداً من الدرس الحديث، على الرغم من تأسّيه بالعلوم المساندة له.

الدرس السادس: تصنيف الأصوات:

إن دراسة الأصوات دراسة علمية دقيقة تقتضي تصنيفها إلى مجموعات عديدة مختلفة لاعتبارات مختلفة، وكل مجموعة تضم عددا من الأصوات لها سمات معينة مشتركة، وأهم هذه التصنيفات هي:

- 1- أصوات حلقة، لوية، غارية... وغيرها من الألقاب المخرجة، وهو تصنيف بالنظر إلى هيئة المخارج النطقية—وقد عرضنا لها—
- 2- صوائت وصوامت: لاعتبارات صوتية معينة (الجهر والهمس، حرية مرور الهواء وعدمه، قوة الإسماع).
- 3- أصوات مجهورة ومهموسة: على اعتبار الانتقال الاهتزازي للوترين الصوتيين.
- 4- أصوات انفجارية (شديدة)، احتكاكية (رخوة)، بيئية، مركبة... على اعتبار كيفية الممر الهوائي.
- 5- أصوات مُطبقة، مفخمة، مستعلية، مرققة، مُصمّمة، مهتوتة... على اعتبار الصفات الصوتية. (كما أن ما ورد في العنصرين 3 و4 هو من الصفات الصوتية).

1/- الصوائت والصوامت:

- الصوامت: consonants: وتعرف أيضا بالسواكن، أو الصّحاح، أو الحبيسة. جمع ساكن، أو صحيح، أو حبيس.
 - الصوائت: vowels: وتعرف أيضا بالحركات، أو العِلل، أو أصوات اللين، أو المصوّتة. جمع حركة، أو علة، أو مُصوَّت.
- و ينبنى هذا التصنيف على معيارين هما:
- أ- وضع الوترين الصوتيين أثناء النطق بالأصوات الصائتة والصامتة:
- فعند النطق بالصوائت (الحركات الطويلة والقصيرة)، تبين حدوث تذبذب للوترين الصوتيين، وهو أن الهواء يهزهما فيتولد رنين مسموع عند صدورهما، مما يولد صفة الجهر. و يصاحب ذلك حدوث نشاط لبعض أعضاء النطق، لكنها صورية لا تدخل ابتداءً في خصائص الصوائت، كارتفاع أول اللسان أو انخفاضه، وانخفاض الفك الأسفل أو عدمه، واستدارة الشفتين أو عدمها.
- ب- طريقة مرور الهواء من الحلق و الفم أو الأنف:
- ظهر عند النطق بالحركات أن الهواء يمر حرًا طليقا خلال الحلق والفم، لا يُجابهه عارض. ومنه يكون تعريف الصائت والصامت على هذا النحو:
- الصائت:** هو الصوت المجهور الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر، خلال الحلق والفم، دون أن يكون ثمة عائق أو تضيق لمجرى الهواء.
- الصامت:** هو الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث حين نطقه اعتراض لمجرى الهواء، سواء أكان الاعتراض كليًا كما في نطق الباء والداال والكاف،... وغيرها، أم كان جزئيًا يسمح بمرور الهواء بصورة ينتج عنها احتكاك مسموع كما في نطق الثاء والفاء والغين،... وغيرها.
- ويندرج ضمن الصوامت هذه الأصوات:

- *- الأصوات التي يمر الهواء عند نطقها من الأنف وهما صوتا النون والميم (ن،م).
 - *- وكذا الأصوات التي ينحرف هوائها عن وسط الفم ويخرج من جانبيه، وهو صوت اللام (ل).
 - *- وكذا همزة القطع (ء) هي صوت صامت ، لأنه يحدث في نطقها اعتراض تام للهواء في الحنجرة.
- مما سبق نخلص إلى أن: الحركات كلها مجهورة في الكلام العادي. وكل صوت مهموس هو صوت صامت، والعكس غير صحيح.

خصائص أخرى للصوائت و الصوامت:

جعل بعض الدارسين الاختلاف في **الوضوح السمعي** معياراً للتمييز بين الصوامت و الصوائت، و **لاعتبارات سمعية** تحصلت هذه الفروق:

- *-الصوائت أشد وضوحاً في السمع من الصوامت في النطق العادي (تُستثنى حالة الوشوشة)، لأن الصوائت تحمل الآثار الموسيقية للنبر ودرجة الصوت، وهي أكثر الأصوات موسيقية لإمكانية تطويلها على وجه يُطرب السمع.
- كما أن الصوائت تُسمع من مسافة أبعد مما تُسمع عندها الصوامت.
- ونفى بعض الأصواتيين هذا المعيار، منهم اللساني "بايك" (Pike)، إذ ذهب إلى أن بعض الصوامت أكثر وضوحاً من بعض الصوائت، كاللام المفخمة (l.) فهي أقوى في الوضوح السمعي من الحركة المعيارية الأولى (i) وهي صوت صائت.
- *- الصوائت المنفتحة (المنفرجة أو المتسعة) كالفتحة هي أشد بروزاً من الصوائت الضيقة (الحادة) كالضمة (u) والكسرة (ii).
- *- لوحظ أن الصوامت المجهورة -عادةً- أوضح من الصوامت المهموسة. وينفي بعضهم ذلك منهم "كمال بشر"، إذ يرى أن بعض المهموس أوضح في السمع من بعض المجهور، فالشّين وهي مهموسة أشد إسماعاً من الدّال وهي مجهورة، وكذا السّين والباء.
- *- الأصوات المطبقة والمفخمة أوضح من الأصوات المنفتحة و المرققة.
- *- الأصوات البنيّة (أو المتوسطة)، وهي اللام والراء والنون والميم (ل ر ن م) وهي مجهورة ؛ أشد بروزاً من سائر الصوامت المجهورة (مقارنة في مجموعة الصوامت المجهورة).

هذا، وتتألف اللغة العربية من أربعة وثلاثين (34) صوتاً هي:

- ثلاثة صوائت قصيرة: الفتحة و الضمة والكسرة .
- ثلاثة صوائت طويلة (حروف المد): الألف والواو والياء.
- صوتان لأنصاف الصوائت (semi-vowels) (أو أشباه الصوائت)؛ وهما الواو والياء المتحركتان كما في **وَلَد** و **يَمَن**، أو الساكتان سكوناً حياً كما في **مَوْتُ** و **بَيْت**. فلهما سمات ترشح ضمّهما إلى الصوامت تارة وإلى الصوائت تارة أخرى.
- و ستة وعشرون (26) صوتاً صامتاً، من الهمزة... إلى الهاء.

2/- الجهر والهمس:

تنقسم الأصوات الصامتة إلى مجموعات بحسب وضع الوترين الصوتيين على النحو الآتي:

1- النطق مع وجود ذبذبة في الوترين الصوتيين، تُحدث نغمة موسيقية نتيجة تضامّهما بشكل يسمح للهواء المندفع خلالهما بفتحهما وغلقهما بانتظام وبسرعة فائقة. هذه النغمة الموسيقية تسمى في الاصطلاح الصوتي الجهر (voice) أو (voicing) والأصوات التي تصحبها هذه النغمة هي الأصوات المجهورة voiced sounds

والأصوات العربية المجهورة هي : الصوائت القصيرة والطويلة، و هذه الصوائت: ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، و، ي. (خمسة عشر (15) صامتا ، وستة (6) صوائت) .

2- النطق مع عدم وجود ذبذبة للوترين الصوتيين، إذ ينفرج الوتران مُفسحين مجالا لمرور النفس دون اهتزاز، حينها يولّد صفة الهمس. وتنتج مجموعة الأصوات المهموسة. وهي كما ينطقها تُجيدو القراءات اليوم، أو المختصون في اللغة العربية :

ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ . اثنا عشر صامتا ، مجموعة في قولهم: حِثْهُ شَخْصٌ فَسَكَتَ قُطْ.

3- إذا تم النطق مع انطباق الوترين الصوتيين انطباقا تاما ثم انفراجهما يخرج صوت انفجاري هو صوت الهمزة ، لهذا يسميه العرب همزة القطع. وهو الصوت الوحيد الذي ليس مجهورا ولا مهموسا (لأنه ينتج على مستوى الوترين وهما المسؤولان عن الصفتين ، وفيه لا يحدث لهما تذبذب ولا ارتخاء).

ملاحظات وتعقيبات:

* - الجهر والهمس مصطلحان صوتيان، لا يعينان دلالتهما المعجمية ، بمعنى رفع الصوت ولا خفائه .

* - عدّ علماء العربية قديما الهمزة والطاء والقاف (ء، ط، ق) من الأصوات المجهورة، بما يخالف نطقنا الحالي لها ، لكن علم الأصوات الحديث أثبت أن الطاء والقاف مهموستان، والهمزة لا مجهورة ولا مهموسة.

وقد فسّر المحدثون هذه الاختلافات على النحو الآتي:

* - سبب ذلك — كما يرى "رمضان عبد التواب" في كتابه" المدخل إلى علم اللغة " أن نطق العربية الفصحى قد أصابه التطور، فاختلف نطق بعض الأصوات في زماننا عن مستوى النطق الفصيح الذي وصفوه وأصابوا فيه. أو يكون نطقنا هو بعينه نطقهم لم يتغير، غير أنهم وهوا في وصف هذه الأصوات.

* - أما القاف فهي تنطق بأكثر من صورة في كل عصور العربية؛ فتتطق جيما فصيحة، وتُنطق همزة (ء)، وتنطق قافا جافة (g)، كنطق بعض اللهجات الآن. كما كان لهذا النطق وجودٌ في القديم وهو ما يُفهم من قول الخليل وسيبويه عند وصفهما لهذا الصوت. فهم ربما وصفوا القاف الشبيهة بالكاف الفارسية (g)، أو الجيم القاهرية — كما يرى كمال بشر في كتابه علم الأصوات - فإذا صحّ ذلك كان جعلهم لها مجهورةً صحيحا، وكان وضعهم لها مع الكاف في المخرج صحيحًا أيضا. ومنه لا غرابة في أن القاف مجهورة عندهم.

ويقوي هذا التفسير رأي إبراهيم أنيس في كتاب "الأصوات اللغوية" الذي يذكر أن من الأدلة على أن القاف كانت في الأصل القديم مجهورة؛ تطور نطقها إلى الجيم، كما في (قاسم) التي تحوّل نطقها إلى (جاسم).

*- أما وصفهم للطاء بأنه صوت مجهور، فقد يكون النظير المفخّم للدال، وهذا ما نصُّوا عليه بالفعل في مجمل آثارهم، أي أن الطاء كان هو صوت الضاد في نطقنا الحالي. أما ضادهم فلها شأن آخر... والمتفق عليه الآن أن الطاء هو النظير المفخّم للتاء لأن كليهما مهموس، والضاد هو النظير المفخّم للدال وكلاهما مجهور .

*- أما الهمزة فلعلهم تذوّقوها متلوّة بحركة ليسهل نطقها، والحركة مجهورة، فأثر ذلك على الهمزة. أو أن اتصالها المتواتر بالألف جعلهم يعتبرونها خطأً مجهورة.

3/ - تقسيم الأصوات حسب كيفية الممرّ الهوائي:

تنقسم الصوامت في العربية من حيث مرور الهواء أو حسب درجات الانفتاح التي تتولّد من وجود حبس أو تضيق في مجرى الهواء، إلى هذه المجموعات:

1- الأصوات الوقفية (أو الانفجارية، أو الحبسية، أو الوقفات الانفجارية):

حين إصدار هذه الأصوات لا بد من المراحل الآتية:

أ- التقاء عضوين من أعضاء النطق التقاءً تاماً يسدّ مجرى الهواء.

ب- حبس تيار الهواء مدة من الزمن خلف حاجز الإغلاق.

ج- انفصال العضوين الحاصرين لتيار الهواء، والسماح بتسريحه.

لهذا اختلفت تسمية الأصوات الوقفية باختلاف النظر إلى المراحل السابقة؛ فالمدرسة الأمريكية سمّت هذا الصنف من الأصوات بالأصوات الوقفية، والانجليز سموها بالأصوات الانفجارية، وسمّيت عند آخرين بالحبسية و بالانسدادية.

والأصوات الوقفية هي: الهمزة (ء)، ب، ت، د، ذ، ض، ط، ق، ك. (ثمانية أصوات).

وقد أدرك علماء العربية هذه الصفة واصطلحوا عليه بمصطلح "الشدة"، وتُفسر الشدة بالوقفة منضاف إليها صفة الانفجار.

و الأصوات الشديدة عندهم هي المجموعة السابقة، غير أنهم ضموا إليها صوت الجيم، وأخرجوا منها صوت الضاد.

وجمعوها في قولهم: أجدتَ طبقك أو أجذك طبقت (ثمانية أصوات).

2- الأصوات الاحتكاكية (أو الاستمرارية):

هي الأصوات التي يضيق مجرى الهواء عند نقطة النطق بها، ويسمح له بالمرور، محدثاً احتكاكاً مسموعاً عند إنتاجها.

والأصوات الاحتكاكية أو الاستمرارية في اللغة العربية عند المحدثين هي: ث، ح، خ، ذ، ز، س، ش، ص، ظ، ع، غ، ف، هـ .

وقد سمى العرب هذه الصفة بالرخاوة ، وأصواتها بالأصوات الرخوة، وهي المجموعة السابقة، غير أنهم ضموا إليها صوت

الضاد، وأخرجوا منها صوت العين (إذ جعلوه من الأصوات البينية كما سيأتي بيانه).وهي في كلّ ثلاثة عشر (13) صوتاً.

3- الأصوات المركبة (أو المزجّية أو المزدوجة):

وتسمى أيضاً بالوقفات الاحتكاكية، وهي المركبة من الصفتين السابقتين وتمزج بينهما لذا سميت بالمزجّية. و هي صوت وحيد في

العربية هو الجيم الفصيحة. (ضمه العرب إلى الأصوات الشديدة).

4- الأصوات المتوسطة (البينية أو السائلة أو المائعة أو السلسلة):

وهي التي تحدث حين يتجنب الهواء نقطة الحبس أو التضييق، فتخرج من مصادرها دون انفجار واحتكاك، بل يتخذ مساراً أخرى تجنباً لنقطة الحبس. وهذه الأصوات هي: ر، ل، م، ن.

- فمع اللام يمر الهواء من جانبي اللسان، لذا يسمى الجانبي، وسماه القدماء بالمنحرف.

- ومع الراء يكون التضييق غير مستقر على حال، لأنه يتكون عن طريق تكرار ضربات اللسان على اللثة بشكل متسارع، لذا يسمى بالصوت المكرر (أو الترددي).

- ومع الميم والنون يمر الهواء بالأنف لا بالفم، لذا هما من الأصوات الأنفية.

وقد عرف علماء العربية هذه الصفة لهذه الأصوات أي صفة التوسط، غير أنها عندهم متوسطة بين الشدة والرخاوة، وأضافوا إليها صوت العين، وجمعوها في قولهم: "لم نرع".

وقد وصف الخليل العين بالنصاعة والطلاقة، ورأى أنها إذا كانت في بناء حسنته... وتجدد الإشارة إلى أن الإحصاءات التي أجراها بعض اللغويين المحدثين لجذور المعاجم العربية كالصحاح واللسان و تاج العروس للزبيدي؛ أثبتت أن العين تقع في المرتبة السادسة من الورد في الجذور العربية بعد الراء والميم واللام والباء والنون، بهذا الترتيب. فالعين إن لم تكن-فعلا- من الأصوات المتوسطة، فهي مثلها في كثرة الاستعمال وتحسين البناء.

أما عند علماء الأصوات المحدثين، فتلك الأصوات هي متوسطة بين الصوائت والصوامت جميعا، وذلك من النواحي النطقية والسمعية.

ولها أوجه شبه بينها وبين الصوائت تتجلى في:

- اتساع مجرى الهواء معها كما يتسع مع الصوائت. لذا سميت بالسلسلة و المائعة.

- كلها مجهورة كالصوائت .

- تشبه الصوائت في خاصية الوضوح السمعي، وهو نتيجة طبيعية لحرية مرور الهواء عند نطقها.

ولهذه الأصوات الأربع (ر ل م ن) خصائص أخرى منها:

- شيوعها في الاستعمال اللغوي لسهولة نطقها، فقد قررت دراسات لغوية أن أكثر الأصوات توظيفا في الروي في الشعر هي: الراء واللام والميم والنون بهذا الترتيب - كما ذكر إبراهيم أنيس-

كذلك ظهر عند الفيروزآبادي في كتابه " بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز " أن اللام والنون والراء تتقدم سائر الحروف في كثرة استعمالها في القرآن الكريم.

- ومن أمثلة ذلك أيضا أنها انفردت مع الفاء والباء بتشكيل نمط خاص من الأصوات عُرف بأصوات **الذلاقة**، إذ تختص بسهولة النطق وخفّته وكثرة التوظيف في اللغة. و قد قرر الخليل بن أحمد قانونا صوتيا مفاده أن البناء الرباعي والخماسي في العربية إذا عري من واحد من حروف الذلاقة، فهو مبتدع دخيل ليس من كلام العرب. والناظر في جل الأبنية الرباعية والخماسية العربية يجد أنها تتوافر على واحد أو أكثر من حروف الذلاقة هذه، نحو: سفرجل، جعفر، عقرب، إلا بعضا من كلمات شذت نحو عسجد، قُداحس (الشجاع الجريء)،.. وغيرهما، وقد أوجد لها الخليل توجيها في ضوء تصويره ذاك، هو مبسوط في مقدمة كتابه العين.

الدرس السابع: صفات الأصوات:

تعطي الطرق المختلفة لنطق الأصوات صفاتها الرئيسية ، منها المتضادة، ومنها غير المتضادة. أما الصفات المتضادة فهي: الجهر والهمس، الشدة والرخاوة، الإطباق والانفتاح، الاستعلاء والاستفال، التفخيم والترقيق، الذلاقة والإصمات. والصفات التي لا ضد لها هي: الصغير، القلقل، اللين، التكرير، الانحراف، التفشي، الاستطالة..

وقد سبق وعرفنا بعضها في محله ، أما بقية الصفات فهذا تبين موجز لها :

1- الإطباق والانفتاح: عرّفه ابن جني بقوله: " هو أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مُطْبِقاً له " وحروف الإطباق أربعة هي الصاد والضاد والطاء و والظاء (ص، ض، ط، ظ). وما سوى ذلك فهو منفتح، يقول سيوييه: " والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تُطْبِقُ لشيءٍ منهن لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى ".

2- الاستعلاء والاستفال:

الاستعلاء كما عرفه ابن جني هو: " أن تتصعد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق [يريد حروف الإطباق]، وأما الخاء والغين والقاف، فلا إطباق فيها مع استعلائها ".

ويُفهم من هذا أن الاستعلاء هو رفع اللسان إلى الحنك الأعلى إما بإطباق كما في: ص، ض، ط، ظ، وإما بغير إطباق، أي باستعلاء فقط كما في: خ، غ، ق.

وكل من الإطباق و الاستعلاء يمثلان عملية فيزيولوجية تولّد أثراً سمعياً يسمى التفخيم.

إذن فالتفخيم: هو أثر سمعي ينتج من عوامل عضوية عند عملية نطق بعض الأصوات، تُكسبها تغليظاً.

و مما سبق:

- الاستعلاء أعم من الإطباق، فكل صوت مطبق مستعلٍ، وليس كل مستعل مطبقاً.

- جمع القدماء حروف الاستعلاء في قولهم: خص ضغط قظ .

- هناك فروق بين أصوات الإطباق وأصوات الاستعلاء، إذ تختلف فيما بينها من حيث سياقات التفخيم أي مواقعه؛ فالأصوات المطبقة مفخمة في كل سياق تفخيماً كلياً بما يشكل جزءاً من بنيتها، وترقيفها يعني زوالها من النظام الصوتي، كما يؤدي إلى لبس دلالي ، فمثلاً: كلمة صَادَ إذا رقت الصاد صارت الكلمة سادَ، فيتغير المعنى. وكذا طاب وضلّ وظلّ، تصبح تاب ودلّ وذلّ. في حين أن الثلاثة الباقية (خ، غ، ق) تُفخّم في سياقات محدّدة مشروطة، وترقيفها لا يُزيلها من النظام الصوتي وإن كان يحدث خطأً في نطقها.

الاستفال: هو من صفات الضعف لما كان الاستعلاء من صفات القوة، وهو خاص ببقية الصوامت، وكلها مرقّقة باستثناء الراء واللام، إذ لهما حالات خاصة من الترقيق والتفخيم⁽¹⁾.

(1)- الأصل في الراء التفخيم وترقق في حالات كأن تكون مكسورة. و الأصل في اللام الترقيق وتنفخ في حالات كما في لفظ الجلالة (الله)، وفي كلمة (الهم) إذا لم تسبقا بكسر.

خلاصة: إذا الحروف المفخمة في اللغة العربية هي حروف الاستعلاء السبعة مضاف إليها حرفان من حروف الاستفال وهما الراء و اللام في حالات خاصة.

3- الدلاقة: هي صفة لبعض الأصوات هي: ر، ل، ن، ف، ب، م. وهي سهولة نطقها، وكثرة امتزاجها بغيرها، إذ لها حسن أداء في الكلام، لخروجها من أدنى مخارج النطق. و قد جمعوها في قولهم: "قَرَّ من لُب".

4- الإصمات: هو عكس الدلاقة، ويضم باقي الأصوات عدا الذلعية.

5- الصفير: هو صفة لثلاثة أصوات هي: **السين والصاد والزاي (س، ص، ز)**، وهو حدة في الصوت سببها ضيق فتحة الانفتاح حين نطق هذه الأصوات.

6- القلقلعة: هي صفة لخمسة أصوات هي: القاف والطاء والباء والجيم والdal، وُجمعت في قولهم: "قُطِب جد". وهي صوت زائد يحدث عند إتمام نطقها حالة سكوتها أو عند الوقف عليها. أو هي في حقيقتها مبالغة في الجهر بالصوت لئلا يعثره بعض الهمس.

7- اللين: هو خروج الصوت من غير كلفة على اللسان، وهو صفة لثلاثة أصوات هي: الواو و الياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما، والألف (المدية) المفتوح ما قبلها .

8- الانحراف: صفة للام، لأن اللسان ينحرف عند النطق به، أو ينحرف الهواء من جانبي الفم.

9- التكرير: صفة للراء لارتعاد اللسان عند النطق بها. فكأنما يطرق طرف اللسان حافة الحنك (الثة) طرقاً لثنتين أو ثلاثاً لتتكون الراء العربية.

10- التنفسي: هو صفة لصوت **الشين** ، وهو كثرة انتشار الهواء بين اللسان والحنك، لأن منطقة الهواء في الفم عند النطق بالشين أوسع منها عند النطق بالسين، ولذلك لا يسمع ذلك الصفير عند نطق الشين كما يسمع في السين .

11- الاستطالة: هي صفة **للضاد** كما عرفها القدماء، لأنها استطالت في الخروج من مخرجها حتى اتصلت باللام لقرب مخرج اللام من مخرجها. (لكن الضاد الفصيحة التي نطقها نحن الآن ليست لها هذه الصفة).

12- الغنة: صفة **للميم و النون**، لأن الصوت يخرج فيهما -حالة سكوتها- من الخيشوم.

13- المهتوتة (الهت): هو إخراج الصوت بشدة، و هو صفة **للهاء** لما فيها من الضعف والخفاء كما ذكر سيبويه.

الدرس الثامن: علم وظائف الأصوات (الفونولوجيا)

عرفنا - في دروس مضت - أن الفونولوجيا هو علم لساني يختصّ بدرس أصوات لغة معيّنة للوصول إلى طرق ائتلافها ونظام تركيبها وما يتصل بذلك من فروق، ويكون ذلك ببحث العناصر الصوتية ضمن مجموعة العلاقات التي يفرضها نظام اللغة المدروسة، وصولاً إلى بيان الوظيفة التي تؤديها العناصر مجتمعة. لذا يشير منهج التحليل الفونولوجي إلى إمكان تقسيم الوحدات الصوتية إلى هذه الأقسام:

1/ الفونيم: phoneme

يعد الفونيم أساس التحليل الفونولوجي الحديث، ظهر هذا المصطلح سنة 1873 مع مرحلة رواد الفونولوجيا، ليصير من أهم المباحث الصوتية التي أثّرت الدرس اللساني بالكثير من الآراء والنظريات والتطبيقات . وحين دخل مصطلح الفونيم الدرس العربي الحديث تُرجم إلى: وحدة صوتية، لفظ، صوت، صوتية، مصوّت، صوتون،.. كما عُرب إلى: صوتيم، صوتم، فونيم، فونيمية. وعند إرادة تعريفه تطالعنا آراء كثيرة مختلفة قدمت في محاولة إيجاد مفهوم دقيق له، أملتها توجهات العلماء ومناهجهم وتصوراتهم للغة أولاً، وللصوت ثانياً. ويضيق المجال عن تتبع كل تلك الآراء، لذا نكتفي بذكر أبرز الاتجاهات ⁽¹⁾ في تعريفه و بإيجاز.

- الاتجاه الذهني أو النفسي: يرى سابير (Sapir) وغيره من أصحاب هذا الاتجاه (بودوان ، وويك..) أن الفونيم هو جزء من البنية الذهنية اللغوية لدى أفراد البيئة اللغوية الواحدة. ولما كانت اللغة عندهم إطاراً ذهنياً وتصورات عقلية في الأصل؛ كان الفونيم بنية ذهنية ذات وجود عقلي مثالي، و مثالته تتأتى من كونه أنموذجاً غير منطوق. بمعنى أن الفونيم هو صوت مثالي نحاول تقليده في النطق، ولكننا نفشل في إنتاجه تماماً كما نريد، أو بنفس الصورة التي نسمعه بها.

- الوجهة المادية (أو النظرة الثنائية): يمثلها دي سوسير، الذي يرى أنه من أجل تعريف الفونيم، لا بد من اعتبار ثنائيته بكونه حدثاً منطوقاً أولاً، ومسموعاً ثانياً، أي أن تحديده مبني على أساسين: عضوي وسمعي. فالوصف العضوي للصوت عن طريق رصد أعضاء التصويت؛ ليس كافياً، إذ لا بد من الاعتماد على الأثر السمعي الذي له أثر تمييزي بارز. ذلك أننا عندما نسمع كلاماً ندرك إن كان صوتاً ما يُنطق بصفاته التي تمثله أم لا، فإذا أحسنا بتوافق هذه الصفات المنطوقة مع ما هو مألوف من سماعنا له؛ كان الصوت المسموع ممثلاً للفونيم نفسه.

- الاتجاه البنائي: ينظر أصحاب هذا الاتجاه إلى الفونيم على أنه قيمة نطقية قابلة للتنوع في السياقات البنائية المختلفة، وأن تنوعاتها غير قابلة للتبادل. ومن رواد هذا الاتجاه دانيال جونز ، الذي عرّف الفونيم بأنه: " عائلة أو مجموعة من أصوات اللغة، المتقاربة سماعاً ونطقاً ، والتي لا تظهر مطلقاً في نفس الإطار الصوتي ". بمعنى أن هذه الأصوات لا تتبادل المواقع مادامت منتمية إلى فونيم واحد، لأن وقوعه في سياقات مختلفة من شأنه أن يغير بعض خصائصه. ومثال ذلك في العربية فونيم النون مثلاً، فهو ذو أعضاء متعددة (أصوات (Phones)). فالنون التي قبل الثاء في (منْ ثم) لا تحل محل النون التي قبل القاف في (منْ قال)، لأن لكل منهما مكانه

(1)- للوقوف على مختلف الاتجاهات بالتفصيل ينظر مثلاً : كمال بشر : علم الأصوات، ص 485-495 ، و أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص 98-109، و سمير شريف استيتية: اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، ص 64-82.

وبيئته وصفاته. وكالفتحة التي في دَرْب وفي ضَرْب، فالأولى مرققة والأخرى مفخمة، ويتعذر نطق الفتحة مرققة وهي مجاورة للضاد وإلا قُلبت الضاد دالا فأصبحت (دَرْب) الأمر الذي يؤدي إلى بناء كلمة أخرى. لذا لا يمكن لصورتَي الفتحة هنا أن تتبادلا المواقع.

– الاتجاه الوظيفي: و يمثلُه أعلام مدرسة براغ رواد التفكير الوظيفي، و في مقدمتهم جاكوبسون و تروبتسكوي. و الفونيم عند أصحاب هذا الاتجاه هو " أصغر وَحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني " . إذا مفهومه عندهم قائم على اعتبار الدلالة التي يؤديها، وتكون بإحداث تغيير في المعنى **إيجابا وسلبا**. أما **الإيجاب** فيظهر في أن الفونيم جزء رئيس من بناء الكلمة يؤدي معنى مفيدا بتضامه وسائر عناصرها للدلالة على معناها، بحيث إذا أسقطت الكلمة معناها مثل فونيم الباء في كلمة (طاب) . و أما **السلب** فيكون حين يحتفظ بالفرق بين الكلمة التي هو فونيم فيها والكلمات الأخرى مثل: طاب- طار- طال.

ونقف عند تروبتسكوي الذي ذهب إلى أن الفونيم " هو أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس " ويرى أن الأساس الذي يقوم عليه الفونيم هو الوظيفة التي يمكن أن يؤديها في تمييز كلمة عن أخرى. وقد وضع قواعد لبيان هذه الوظيفة، منها:

1- إذا كان الصوتان من اللغة نفسها، يظهران في الموقع الصوتي نفسه، ومجيء أحدهما محل الآخر يغير المعنى ، فهما صورتان لفونيمين مختلفين. مثال ذلك التقابل في العربية بين الأصوات الأولى في هذه الكلمات: تاب- جاب- ذاب- غاب (. وكذا التقابل بين الحركات، كالتقابل بين الفتحة والضمّة في كرم وكُرم فالأولى اسم والثانية فعل. وبين حَمَل وحَمْل؛ فالأول لكل أنثى أو شجرة، والثاني لحمل الظهر، والوَقْر والوَقَر ؛ فالأول بمعنى ثقل الأذن، والثاني للثقل يُحمل على الرأس أو الظهر. إذاً فهذه الحركات هي فونيمات لأن تغييرها يغير المعنى.

2- إذا كان الصوتان يظهران في الإطار الصوتي نفسه، واستبدال أحدهما بالآخر لا يغير المعنى؛ فهذان الصوتان هما صورتان اختياريّتان لفونيم واحد. مثال ذلك فونيم **الجيم** في العربية في كلمة (جمال) —مثلا- له صور صوتية متعددة: فتنطق معطشةً قريّة من الشين (j) ، وتنطق كالنظير المجهور للكاف وهو (g) ، كما تنطق جيما فصيحة . وكذا فونيم القاف، إذ له صور فينطق همزة أو جيما أو كافا...

3- إذا كان الصوتان متقاربين من الناحية السمعية أو النطقية، ولا يظهران مطلقا في الإطار الصوتي نفسه؛ فهما صورتان إجباريتان لفونيم واحد. مثال ذلك فونيم النون في العربية، إذ تتعدّد صورته ولا يمكن لصورة منه أن تقع موقع الأخرى. مثل:

(يُنْبَح) تنطق —بمبح، وتصير صورة شفوية، و(مِنْ رَأَى) —مرأى، وهي صورة تكرارية، و (مِنْ لَام) —مَلام، صورة انحرافية، و (مِنْ يَعْمَل) —مِيعمل، وهي صورة فيها غنة، و (يُنْقَل) — تكون لهوية مفخمة، و (يَنْظُر) — تصبح النون أسنانية مفخمة. فأصل هذا كله هو النون اللثوية الأنفية المجهورة المرققة، لكن مقتضى المجاورة في السياق بين الأصوات لا يحقق إلا صورة فرعية من صور النون المتعددة. كذلك الفتحات الثلاث في كلمة (بَطَرَ) لكل واحدة صورة صوتية مختلفة عن الأخرى لأنها تأثرت بكل صوت جاورته فتُسمع مرققة ومفخمة وشبه مفخمة.

إذاً هذه **التنوّعات** أو **الأفراد** الكثيرة لوحدة صوتية معينة تسمى بالألوفونات (allophones). ومنه يعرف الألوفون⁽¹⁾

(1)- ترجم مصطلح (allophone) وعُرب إلى: ألوفون، صوتم تعاملي، متغير صوتي، صوتون، صورة صوتية.

(allophone) بأنه " عنصر من عناصر الفونيم تغييره لا يغير المعنى ". وتُجمع الآراء على أن هذا العنصر أو الصورة الصوتية هو صوت حقيقي، في حين أن الفونيم ليس صوتاً منطوقاً - في معظم الآراء - إذ لا يمكن له أن يتحقق إلا عن طريق عناصره. ويمكن للألفون أن يكون **عنصراً اختيارياً** كتعدد صور الجيم والقاف - كما سبق - كما يمكن أن يكون **عنصراً إجبارياً** تحدده مواقع معينة في السياق، يتعذر التبادل فيما بينها، كصور النون السابقة، وكألفون اللام في لفظ الجلالة (الله)، فهو مفخم في (قال الله)، ومرفق في (بالله)، إذ لكل منهما موضع معين لا يتعداه إلى غيره.

2/ المقطع: syllable : هو مجموعة من الفونيمات التركيبية المركبة وفق نظام معين في لغة معينة. وقد حدّد بعض الدارسين مفهومه تحديداً صوتياً، وآخرون تحديداً فونولوجياً، بالنظر إلى دوره في بناء الكلمة . و الراجع أن المقطع لا يعرف ولا تتبين أنماط تركيبه إلا في اللغة المعنية ، فلا يعرف تعريفاً عاماً ينطبق على كل اللغات ، إذ تختلف أشكاله تبعاً لقواعد كل لغة .

1. المقطع في اللغة العربية:

هو مزيج من صوامت تليها صوائت. فالصوامت وحدها لا تكون مقاطع في اللغة العربية، وأقل مقطع ما تألف من صامت وصائت (نرمز للصامت بالحرف (ص) وللصائت بالحرف (ح) = حركة).

ثم إن المقطع قد يؤلف بذاته كلمة مستقلة (أي كلمة ذات مقطع واحد)، وقد يكون جزءاً من كلمة (أي كلمة متعددة المقاطع).

2. أشكاله :

لا تتجاوز المقاطع في اللغة العربية هذه الأنماط:

أ- **المقطع القصير المفتوح**: هو ما تألف من صامت وصائت قصير، مثل هذه الكلمات: ل، ب، ل: (ص ح).

ب- **المقطع المتوسط**: هو ما تألف من ثلاثة أصوات. وهو على نوعين:

- مقطع متوسط مفتوح: يتألف من صامت وصائت طويل، مثل: في، لي : (ص ح ح)

- مقطع متوسط مغلق: يتألف من صامتين وصائت قصير، مثل: عَن، مِّن : (ص ح ص).

ج- **المقطع الطويل**: هو ما تألف من أربعة أصوات، وهو نوعان:

- مقطع طويل مغلق: يتألف من صامتين وصائت طويل ، مثل: باب، نور، فيل : (ص ح ح ص).

- مقطع طويل مضاعف الإغلاق: يتألف من ثلاثة صوامت وصائت قصير، مثل: بَدْر، لَيْل: (ص ح ص ص).

و المقطع الطويل بنوعيه يكون في حالة الوقف فقط (غالباً).

د- **المقطع المديد**: وهو المتكون من ثلاثة صوامت وصائت طويل، مثل: خاصٌّ، سائرٌ : (ص ح ح ص ص) ويكون في حالة

الوقف فقط، وينتهي بصامت طويل (يعني حرفان من جنس واحد مدغمان)

هذه هي الإمكانيات المقطعية في اللغة العربية. و كل مقطع ينتهي بحركة فهو مقطع مفتوح، وكل مقطع ينتهي بصامت فهو مغلق.

و واضح تماماً أن المقاطع القصيرة مفتوحة أبداً، والمتوسطة منها المفتوح ومنها المغلق، أما الطويلة والمديدة فمغلقة أبداً.

3. خصائص المقطع في اللغة العربية:

- 1- لا بد أن يبدأ المقطع العربي بصامت، فلا يبدأ أبداً بصائت مهما كان موقعه من الكلمة، عكس المقطع في الفرنسية أو الإنجليزية، فقد يبدأ بصائت مثل كلمة image (ح ص ح ص)، وقد يبدأ بأكثر من صامت، مثل street (ص ص ص ح ح ص) bravo (ص ص ص ح ح ص).
- 2- يجب أن يُتقَّى الصامت بصائت، فلا يجوز أن يبدأ بصامتين.
- 3- لا تزيد مقاطع الكلمة المجردة من الزوائد على أربعة مقاطع - إلا نادراً - مثل: سَفَرَجَلْ: ص ح / ص ح ص / ص ح ص / رغم أن الكلمة خماسية . ومثل : شَجَرَةٌ ص ح / ص ح / ص ح / ص ح /.
- 4- ذهب بعض الدارسين إلى أن أكثر ما يمكن للكلمة أن تتركب منه هو سبعة مقاطع مع الحروف الزائدة، مثل: فَسَيَكْفِيكَهُمُ: ص ح / ص ح ص / ص ح ح / ص ح / ص ح / 7 مقاطع . بينما ذهب آخرون إلى إمكانية أن يصل إلى عشرة مقاطع، مثل: فَسَيَتَدَاوِلَانِيْمَا: ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / (10 مقاطع).
- 5- أقل ما تتركب منه الكلمة مقطع واحد (ص ح) ويكون في الأدوات النحوية.
- 6- لا يجوز تكرار المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) في كلمة مجردة ثلاث مرات.
- 7- لا يجوز وقوع المقطع الطويل المضاعف الإغلاق (ص ح ص ص) في صدر كلمة أو في حشوها. بينما يجوز ذلك في المقطع الطويل المغلق فقط (ص ح ح ص) ، كما في كلمة: مُدْهَامَتَانِ: ص ح ص / ص ح ح ص / ص ح / ص ح ح / ص ح /.

3/ التَّبر (Stress):

- هو ارتفاع في شدة الصوت مما يسبب وضوحاً نسبياً لمقطع في الكلمة حين ينطق بجهد أكبر من المقاطع المجاورة. أو هو - كما عرفه تمام حسان - "ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها". ويسمى أيضاً بالارتكاز.
- وقد تنبه إليه اللغويون قديماً وعرفوه باسم "الهمز"، و استخدموا عبارات تدل عليه نحو "مَطْلُ الحركة" كما ورد عند ابن جني في "الخصائص"، و عبارة "إشباع الحركة" كما عند سيبويه.
- ويعد النبر فونيمياً في بعض اللغات لأنه يفرق بين معنى وآخر ، مثل هذه الكلمات في الإنجليزية: convert، import، contract إذ تعد اسماً حين ينبر المقطع الأول، وفعلاً حين ينبر المقطع الثاني. هذا من الوجهة الصرفية. أما من الوجهة الدلالية فكما في كلمة (August)، فإذا نُبر المقطع الأول كانت بمعنى شهر أوت ، وإذا نُبر الثاني كانت بمعنى مهيب وجليل .
- والنبر من وظيفة الصيغة الصرفية في الكلمة العربية - كما يرى تمام حسان - ، فيقع النبر في صيغة فاعل على المقطع (فا)، وفي صيغة مفعول على المقطع (عول)، وفي صيغة مستفعل على (تف).

قواعد النبر في الكلمات العربية:

تفيد دراسات المحدثين أن النبر في العربية مرتبط ببنية الكلمة من حيث مقاطعها، مع العلم أن هذه القواعد تقريبية - كما سيأتي - ليست كقواعد الصرف والنحو في الاطراد، لأن الدرس الذي أنتجها محدث لا يشمل الكلام العربي المتعدد المستويات. وتختلف هذه القواعد باختلاف عدد مقاطع الكلمة ونوعها. وهذه القواعد هي:

1- في الكلمات الأحادية المقطع، يقع النبر على مقطعها الوحيد، مثل: قُمْ (ص ح ص)، لَمْ (ص ح ص)، لا (ص ح ح).

2- في الكلمات الثنائية المقطع، يقع النبر على المقطع الأول إذا لم تحو الكلمة مقطعا طويلا، مثل:

قامَ (ص ح ح / ص ح)، عنها (ص ح ص / ص ح ح) .

- أما إذا ضُمَّت الكلمة مقطعا طويلا واحدا، فالنبر يقع على هذا المقطع كما في كلمة: كتابُ (ص ح / ص ح ح ص).

3- في الكلمات الثلاثية المقطع؛ إذا كان المقطع الثاني متوسطا أو طويلا وقع النبر عليه، كما في:

أعانت (ص ح / ص ح ح / ص ح ص)، يستدعي (ص ح ص / ص ح ص / ص ح ح).

- أما إذا كان المقطع الثاني قصيرا، فالنبر يقع على المقطع الأول أيّا كان نوعه، مثل:

دخلَ (ص ح / ص ح / ص ح)، ناصرَ (ص ح ح / ص ح / ص ح).

- وللنبر أثر في توجيه المعنى، فإذا نُبر المقطع الخطأ تغيّر المعنى، مثل الخطأ في نبر كلمة (فسقى) في قوله تعالى: [فَسَقَى لَهَا تَمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ] القصص (24). فإذا قُرئت كلمة (فسقى) دون نبر مقطعها الأول ((فـ: ص ح)، يكون الفعل مشتقا من الفسق لا من السقي (أي نسمعها فَسَقَ لا سَقَى).

وكذا في قوله تعالى: [فَكَسَتْ قُلُوبَهُمْ] الحديد (16). إذا لم يُنبر المقطع الأول من (فكست: ص ح / ص ح / ص ح ص) وتحول إلى الثاني صار الفعل وكأنه فقس لا قسى، وتصير الفاء كأنها من حروف الكلمة الأصلية .

4- التنغيم (Intonation):

ويسمى أيضا بالنغم (Tone). و هو إعطاء الكلام نغمات معينة، تتكون بارتفاع الصوت وانخفاضه، وتلوّنه بوجوده مختلفة أثناء النطق على مستوى الجملة، للدلالة على معانٍ مقصودة مثل: الاستفهام والطلب، والتعجب، والغضب، والرضا، والفرح، والدهشة... وغيرها . و يكون التنغيم حينها قيمة استبدالية يعبر عن غرض المتكلم ويُعوّض الأدوات النحوية .

أمثلة:

- في قوله تعالى: [يَوْسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا] (يوسف (29)). حُذِف حرف النداء واستُبدِل بقيمة تعبيرية هي التنغيم.

- وفي قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاءَ أَزْوَاجِكَ] (التحریم (1)). حُذِف حرف الاستفهام وأُقيم التنغيم مكانه، والتقدير: أبتغي؟

- وفي قوله: [قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ] (يوسف (75)). فالنص يُقرأ بصورتين تنغميتين عند كلمتي (جَزَاؤُهُ) ليتبين المعنى. فالأولى تقرأ بتنغيم الاستفهام: قالوا: جزاؤه؟ أي: ما جزاؤه؟ والثانية بتنغيم التقرير: فهو جزاؤه (إخبار).

الظواهر الصوتية (الوظائفية)

1- المماثلة الصوتية (Assimilation) تتأثر الأصوات بعضها ببعض بنسب متفاوتة، بحيث يفقد الصوت بعض خصائصه النطقية، أو يكتسب بعض خصائص صوت مجاور. لذا تعرّف المماثلة الصوتية بأنها التعديلات التكيّفية للصوت حين مجاورته لأصوات أخرى، إذ تتحوّل الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلاً جزئياً أو كلياً.

والهدف الصوتي وراء هذا التأثير ، هو تحقيق نوع من التشابه أو التماثل الصوتي بغية التقارب في الصفة أو المخرج، اقتصاداً في الجهد العضلي المبذول .

والأصوات تتأثر بنسب متفاوتة منها ما يقع عليه التأثير بشكل سريع يؤدي به إلى الاندماج في غيره، ومنها ما لا يمتلك خاصيّة الاستجابة الفورية لهذا التأثير. ومنه فالمماثلة أشكال :

أ- فهي بحسب درجة تأثر الصوت تنقسم إلى:

* - **مماثلة جزئية**: حيث لا يتغير في الصوت إلا صفة واحدة كأن تتحول الباء المجهورة إلى مهموسة فلا تخرج من دائرة الباء، كما في : سبّت - كُتِبَ تنطق قريية من (p)). ومثل ذلك أن تفقد اللام الجهر، أو تكتسب التفخيم، وتكتسب الراء الترفيق...

* - **مماثلة كليّة**: وفيها يتحول الصوت إلى صوت آخر ، كأن تتحوّل السين إلى زاي، والتاء إلى طاء أو إلى دال كما في: ازدهر وأصلها ازهر .

ب- وهي بالنظر إلى حركة التأثير أو اتجاهه تنقسم إلى:

* - **مماثلة أمامية (أو تماثل تقدّمي)**: إذ يؤثر الصوت السابق في الصوت اللاحق. ومن أمثلة ذلك:

- تأثير الصوت المجهور الزاي أو الدال في تاء الافتعال؛ فتُبدل التاء دالا، كما في: ازهر، ازهي، ادتعي،.. فتصير : ازدهر، ازدهي، ادعى. فقد كان ثمة تخالفٌ بين الزاي المجهور والتاء المهموس، فأُبدلت التاء إلى نظيرها المجهور وهو الدال ، فنشأ تماثل بين الزاي والدال ،أي تكيف وانسجام صوتي . وكذا في كلمة (ادعى) غير أنه حدث تغير ثان هو إدغام الدالين بعدما كانت (اددعى) .

- ومن أمثلة التماثل التقدّمي؛ حين تكون فاء الفعل صوتاً مطبّقاً مفخّماً كالصاد، والضاد، والطاء ، والظاء، تبدل تاء الافتعال من طاءً، نحو:

صبر — افعل — اصبر — اضطرب. / ضرب — افعل — اضطرب — اضطرب.

طلع — افعل — اطلع — اطلّ — اطلّ / ظلم — افعل — اظلم — اظلم — اظلم — اظلم — اظلم — اظلم.

ماحدث هو أن أصوات التفخيم قد أثّرت على صوت التاء المهموس المرقّق فصبغته بصبغة التفخيم فتحوّل إلى نظيره المفخّم وهو الطاء.

وفي المثالين الأولين توقف التحول عند هذا الحدّ. أما في الموالين فيبدو أن عسر نطق الطاء مع الظاء في (اظْطَلَم) جذب الطاء الشديد (الانفجاري) نحو صفة الرخاوة (الاحتكاك) وحولها إلى ظاء (بمعنى حدثت مماثلتان في الكلمة)، ثم جاءت الصيغة بظائين متواليتين وأدغمتا، تحقيقاً لجهد أقلّ. وكذا الحال مع كلمة (اطَّلَعَ).

* - **مماثلة رجعية (تماثل رجعي):** إذ يؤثر الصوت اللاحق في الصوت السابق. من أمثلة ذلك:

- تحويل فاء الافتعال إذا كانت واوًا إلى تاء مثل:

وصل — افتعل — اوصل — اتصل — اتصل.

وقى — افتعل — اوتقى — اتقى — اتقى.

حيث أثر الصوت الثاني التاء في الأول الواو، و أُبدِل إليه، ثم أدغم المثلان وهما التاءان.

- وفي صيغة يتفعّل أو يتفاعل مثل:

طَهَّر — يتفعّل — يططهّر — يططهّر.

ذَكَرَ — يتفعّل — يتذكّر — يذكّر — يذكّر.

ثَقُلَ — يتفاعل — يتثاقل — يتثاقل — يتثاقل.

وفي هذه الأمثلة أثرت الطاء والذال والتاء في التاء وقلبتها إليها.

2- المخالفة الصوتية (Dissimilation) :

هي إعادة الاختلاف بين الأصوات وتخفيض حدّة المماثلة وإظهار قيم الفونيمات الاستقلالية، لتحقيق حالة التوازن وتقليل المدى التأثيري للمماثلة الصوتية.

ولتحقيق ذلك يرى بعض المحدثين أن أكثر اللغات تعتمد تحقيق المخالفة، وذلك باللجوء إلى الأصوات البينية (المتوسطة) : الراء

واللام والميم والنون (لم نر)؛ تيسيراً للنطق. فهناك كلمات في العربية تشكل الأصوات السابقة جزءاً من بنيتها، يمكن أن تكون نتاج

عامل المخالفة بين صوتين متماثلين، فتكون غالباً لفك الإدغام والحلول محل أحد الصوتين المدغم مع الإبقاء على الآخر.

أمثلة:

حَجَلٌ — حَجَلٌ — حَرْجَلٌ (فُكَّ الإدغام وحلّت الراء مكان الجيم الأولى المدعّمة).

جَمَدٌ — جَمَدٌ — فَطَحَ — فَطَحَ ، إِنْجَاصٌ — إِنْجَاصٌ ، عَكَبٌ — عَكَبٌ ، ...

إذاً مثّلت اللام والراء والميم ممراً مرناً للتّضعيف. ومنه فالكلمة التي تشتمل على صوتين متماثلين كلّ المماثلة، يمكن أن يتغير فيها

أحد الصوتين إلى أحد الأصوات المتوسطة السابقة، أو إلى صوت من أصوات العلة تخلصاً من الجهد العضلي النطقي.

أمثلة:

أَمَلَلْتُ — أَمَلَيْتُ ، تَسَرَّرْتُ — تَسَرَّيْتُ ، دِنَارٌ — دِينَارٌ ، يَتَمَطَّطُ — يَتَمَطَّى.

تطبيقات:

أجب عن هذه الأسئلة

- 1- ضع بيانا وصفيا لكل صوت من أصوات اللغة العربية (الصوامت)؛ ذكرا المخارج والصفات المختلفة، متبعا هذا المثال:
الهمزة: صوت صامت حنجري، انفجاري (شديد)، لا مهموس ولا مجهور، مستفل، منفتح، مرقق، مصمت،
الصاد: صوت صامت، أسناني لثوي، احتكاكي (رخو)، مهموس، مستعل، مطبق، مفتوح، مصمت، صفيري، ...
- 2- قارن بين كل صوتين مما يأتي من حيث المخرج والصفات، (للوقوف على القيم الخلافية بين الأصوات ومعرفة السمات المتمايزة):
(القاف و الغين)، (الفاء والميم)، (الدال والذال)، (الراء والنون)، (الحاء و الظاء).
- 3- ماهو النظير المجهور لكل من: التاء، الحاء، الطاء
- ماهو النظير المهموس لكل من: الذال، الغين، الزاي
- ماهو النظير المفخم لكل من: السين، الدال، التاء
- ماهو النظير المرقق لكل من: الظاء، الضاد، الصاد
- ملاحظة: نعني بالنظير الصوت المقابل لصوت آخر، لهما المخرج نفسه والصفات نفسها، ماعدا صفة واحدة فهما يتقابلان فيها.
- 4- حدد الفروق الصوتية المختلفة بين الصوائت و الصوامت.
- ماهي الأصوات البينية ؟ وما خصائصها ؟
- ماهي أصوات الذلاقة ؟ وما خصائصها ؟
- 5- متى يكون الألوفون إجباريا؟ ومتى يكون اختياريا ؟
5- حدد البنية المقطعية لهذه الكلمات، ذكرا عدد المقاطع:
عَفَّارٌ - كِرَامٌ - تُمٌّ - اقْتَرَبَ - التَّاجِحُونَ - مجتهدون.
- 6- حدد مواضع النبر في هذه الكلمات بعد تحديد البنية المقطعية:
مرامٌ - إنٌ - ناصِرٌ - يَدْكُرُ - مُسْتَسَلِمٌ.
- 7- بيّن الظواهر الصوتية الحادثة في هذه الكلمات، محللا التغيرات الطارئة:
يَصْدَقُ - يَقْضِي - دَسَى - عَمَّا - فُزَ - حَرْجَلٌ - تَعْلُو - اصْطَنَعَ.

أستاذة المقياس: سامية دوداش

-دمتم بخير-